The Egyptian Int. J. of Eng. Sci. and Technology
Vol. 16, No. 1 (Jan. 2013)

EIJEST

نحو استنباط أنساق لونية من القرآن الكريم لعمـارة/عمران المدن الإسلامية

داليـــا علـــي طـــه[1] **، جاسر جميل عبد العظيم[2]

[1] قسم الهندسة المعمارية، كلية الهندسة، جامعة 6 أكتوبر، مصر
[2] قسم الهندسة المعمارية، كلية الهندسة، جامعة مصر الدولية، مصر

الملخص :

تُعتبر الألوان مكوناً أساسياً في حياة الإنسان اليومية، وعنصراً لا غنى عنه في تشكيل البيئة المعمارية والعمرانية إذ يضيف استخدام الألوان بعدًا جديداً للبيئة المبنية يأتي من كونها تعطي تمييزاً للكتل والتكوينات والأشكال، وبالتالي تدعم تكوين هوية المكان. فهي تعطى إحساساً بالانتماء المكاني للأفراد، وتقلل من الميول التخريبية لديهم، وتزيد من الإنتاج وتفاعل الإنسان مع البيئة المحيطة به.
إلا أن استعمال الألوان في البيئة المبنية بصفة عامة قد ينتقل من كونه مبهجاً وجميلاً وذو تأثير جيد في دعم دمج الفرد والتأكيد على انتمائه لمجتمعه, إلى الإزعاج والتشويه والاضطراب, بل وفي كثير من الأحيان إلى عدم احترام عمران المكان، وخلق تنافر معه. وما نراه الآن من إشكالية فوضى وعشوائية استخدام الألوان في القاهرة والكثير من العواصم والمدن العربية والإسلامية، إنما يستوجب العمل على إيجاد حلول لهذه المشكلة بما يفيد في إعادة بناء الهوية والانتماء للمجتمع والبيئة المحيطة والاندماج معها، والتي هي من أهم مبادئ العمارة المستدامة.
وهكذا فإن صياغة هوية لونية لبيئة عمرانية لابد أن تضع في اعتبارها مجموعة من المحددات مثل البيئة بمعناها الشامل وتقاليدها ،وتمايزها،وكذلك مواطن الابتكار فيها ...الخ ,إلا أن التوسع في المدن والبيئة المبنية في عصر العولمة قد أدى إلى تناقل ألوان بعينها بين الأماكن المختلفة على مستوى العالم لتصبغ العمران بألوان متشابهة ر غم الاختلافات الثقافية والحضارية والبيئية بين هذه الأماكن. فكان لزاماً علينا دراسة الهوية اللونية للأماكن بوصفها جانباً ذو صلة بالهوية الثقافية التي يمكن أن تميز بين البيئات المبنية وتعزز هويتها وتساعد في خلق المجتمعات المتجانسة.
ومن ثم فهدف هذه الورقة هو طرح حل لهذه الإشكالية من خلال وضع منهجية متسلسلة الخطوات تساعد على استنباط مجموعة من الأنساق اللونية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم باعتباره المرجع الأساسي في الإسلام ,فتجتهد هذه الدراسة في البحث عن أصل هذه الألوان مستعينة في ذلك بتفسير هذه الآيات- والتي تمثل الأداة الرئيسية في البحث- وتوضيح علاقة هذه الألوان بالمخلوقات والعناصر الطبيعية التي أبدعها الله، وتستخدم كلاً من المنهج التحليلي والمنهج الإستنتاجي بما يخدم أجزاء البحث المختلفة، وذلك من أجل الوصول إلى تكوين خريطة لونية يمكن أن تمثل أداة جيدة في دعم الهوية وإعادة إحياء وتمييز العمران في المدن والعواصم الإسلامية.
كلمات مفتاحية: الهوية اللونية - الألوان في العمران الإسلامي - الألوان في القرآن الكريم – عمارة/عمران المدن الإسلامية.

À PROPOS DE L'ÉLABORATION DE VOTRE COULEUR PRÉFÉRÉE DU CORAN POUR L'ARCHITECTURE / IMRAN VILLES ISLAMIQUES

RÉSUMÉ:

Les couleurs sont une composante essentielle de la vie au jour le jour de l'homme, et un élément indispensable à la formation de l'environnement architectural et urbain que l'utilisation de la couleur ajoute une nouvelle dimension de l'environnement bâti vient d'être une. Donner blocs distincts, des configurations et des formes, et soutient donc la composition de l'identité du lieu Ils donnent un sentiment d'espace appartenant à des particuliers, et réduire les tendances destructrices qu'ils ont, et augmentation de la production et de l'interaction humaine avec l'environnement qui l'entoure. Cependant, l'utilisation de couleurs dans l'environnement bâti en général peut cesser d'être un agréable et bel effet Odhu bon pour soutenir l'intégration de l'individu et l'accent mis sur l'appartenance à une communauté, à la gêne et de la distorsion et de la confusion, mais dans de nombreux cas un manque de place Imran égard, la création d'une dissonance avec lui. Ce que nous voyons maintenant le chaos problématique et l'utilisation aléatoire de la couleur au Caire et de nombreuses capitales arabes et les villes et islamiques, mais nécessite un travail de trouver des solutions à ce problème dans l'intérêt de la reconstruction de l'identité et de l'appartenance à la communauté et l'environnement et l'intégration avec, et c'est l'un des principes les plus importants de l'architecture durable. Ainsi, la formulation de l'identité de la couleur à l'environnement urbain doit tenir compte de l'ensemble des déterminants tels que le sens environnement complet et traditions, et de la différenciation, ainsi que l'innovation citoyenne où ... etc, mais l'expansion des villes et l'environnement bâti à l'ère de la mondialisation a conduit à la déclaration de couleurs particulier entre des lieux différentes couleurs à travers le monde Omran pigmentation sont similaires, malgré les différences culturelles, culturelles et environnementales entre ces lieux. Était nécessaire pour nous d'examiner l'identité de couleur de lieux comme un aspect important de l'identité culturelle qui permet de distinguer les environnements bâtis et de renforcer son identité et contribuent à créer une société homogène. Et puis L'objectif de cet article est de proposer une solution à ce problème en développant une méthodologie étapes séquentielles aider à concevoir un ensemble de motifs de couleur mentionnés dans le Coran comme la principale référence dans l'Islam, Vtjtahed cette étude dans la recherche de l'origine de ces dessins en couleur sur l'interprétation de ces versets - qui représentent l'outil principal de la recherche - et clarifier la relation de ces créatures couleurs et des éléments naturels créés par Dieu, et utiliser à la fois l'approche analytique et la méthodologie pièces servir déductives recherche différente, afin d'accéder à la couleur de la carte de configuration peut représenter un bon outil pour soutenir l'identité et de relancer L'urbanisme distinction dans les villes islamiques et des chapiteaux**.**

MOTS-CLES: couleur identité - couleur dans l'architecture islamique - les couleurs dans le Coran - Architecture / Imran villes islamiques.

***** Received: 30/11/2012, Accepted: 20/12/2012, Ref. No. 110, (Original Paper)

** Contact author (dr.daliataha@ gmail.com)

1. الألوان في العمارة والعمران

استُخدمت الألوان في العمارة منذ الحضارات القديمة وخاصة الحضارة الفرعونية وذلك في الفراغات الداخلية كالحوائط والأسقف حيث استخدم الفنان القديم مواد من التربة ومواد نباتية وحيوانية في عمل المساحيق الملونة والصبغات اللونية فكانت الألوان طبيعية وليست مفتعلة أو دخيلة على العمارة. كما ظهرت المعالجات اللونية في العمارة الإغريقية والرومانية نتيجة لاستخدام الجرانيت والرخام, أما في العمارة القوطية فإن الزجاج الملون كان له تأثير جوهري على فراغاتها الداخلية، شكل (1) .

شكل (1): استخدام الألوان في عمارات العصور القديمة

كما استخدمت الألوان في العمارة الشعبية في العالم كقرى وسط وجنوب أفريقيا وقرى النوبة التي تعتبر التلوين طقساً هاماً من طقوس البناء، شكل (2).

شكل (2): الألوان في العمارة الشعبية ـ النوبة وقبائل إفريقيا

وبعد الحرب العالمية الثانية ظهرت الكثير من التيارات الفنية التي تنادى باستخدام الألوان في البناء، حيث استهجن المعماريون في تلك الفترة العمارة السائدة والتي وصفوها بالملل والكآبة. وبالتالي ظهرت حركات لونية أخرى عرفت باسم عمارة الببغاء أو عمارة الطاووس، وهذه يُطلق عليها أحياناً اللوحة اللونية, والتي استخدم فيها المعماريون الألوان الأربعة: الأحمر، الأصفر، والأخضر، والأزرق للتأكيد على التشكيل المعماري أو تقوية التتابع الفراغـي وللتذكير بأهمية اللون في العمل المعماري شكل (3).

شكل (3): الألوان في عمارة ما بعد الحرب العالمية الثانية (عمارة الببغاء/ الطاووس)

إن استخدام اللون في البيئة العمرانية لاشك يضيف إليها بعداً جديداً يأتي من كون الألوان ذات تأثيرات نفسية يمكن أن يستفاد منها في دعم إحساس الفرد بالإنتماء إلى المكان، وزيادة تفاعل الانسان مع البيئة المحيطة، فاللون هو العنصر الجمالي المكمل للإبداع المعماري والعمراني, (مرجع(3)). لكن استعمال الألوان في العمارة قد يكون مريحاً وجميلاً, وقد ينتقل إلي الإزعاج والتشويه والاضطراب. وليس أدل على ذلك أكثر مما نراه اليوم في القاهرة على الأخص وفي المدن الاخري بمصر، وأيضاً في العديد من الدول العربية والإسلامية، التي تحولت مناطق وضواحي كثيرة بها إلى كرنفالاً مفتوحاً من الألوان لها تأثير سلبي، بل وقد يتسبب اللون في هدم كل عناصر الجمال الأخرى التي قد يحويها المبنى شكل (4).

شكل (4): عشوائية استخدام الألوان في مصر والبلاد العربية والإسلامية

وهكذا فإن صياغة هوية لونية لبيئة عمرانية لابد أن تضع في اعتبارها مجموعة من المحددات مثل البيئة بمعناها الشامل وتقاليدها ،وتمايزها،وكذلك مواطن الابتكار فيها ...الخ. إلا أن التوسع في المدن والبيئة المبنية في عصر العولمة قد أدى إلى تناقل ألوان بعينها بين الأماكن المختلفة على مستوى العالم لتصبغ العمران بألوان متشابهة رغم الاختلافات الثقافية والحضارية والبيئية بين هذه الأماكن. وبالتالي، فمن المهم أن تدرس الهوية اللونية للأماكن بوصفها جانباً ذو صلة بالهوية

الثقافية التي يمكن أن تميز بين البيئات المبنية وتعزز هويتها وتساعد في خلق المجتمعات المتجانسة.

إن الألوان لاشك تلعب دوراً هاماً في الصورة البصرية للعمارة والعمران، ومن منطلق استحالة غياب اللون عن المادة، وبسبب ما نراه الآن من فوضى استخدام الألوان في القاهرة والكثير من العواصم العربية والإسلامية، فإن ذلك يستوجب العمل على إيجاد حلول لهذه المشكلة، وأن يقوم المعماري بتنظيم وتوظيف الألوان في عناصر البيئة المعمارية والعمرانية من واجهات- أرضيات...إلخ لتوفير بيئة متجانسة بما يفيد في إعادة بناء الهوية والانتماء للمجتمع والبيئة المحيطة والاندماج معها، والتي هي من أهم مبادئ العمارة المستدامة.

2. الألوان في القرآن الكريم

يُعدّ اللون في القرآن الكريم ظاهرةً فريدةً من مظاهر التعبير الفني، والجمالي، والتعبير اللفظي الذي يتميز به الأسلوب القرآني المعجز. ومثلما قد يدل اللون في القرآن على القدرة الالهية والرحمة والجمال الالهي الذي يظهر في كافة مخلوقات الله، فإنه كذلك قد يرمز إلى الحياة أو الموت، والأمل أو الخيبة، والكفر أو الإيمان، والنشاط أو الحزن، وغيرها من الدلالات.

وقد ورد لفظ (ألوان) ومشتقاته في سبع آيات فقط من القرآن الكريم (يرى المفسرون أنها إشارة من الله سبحانه وتعالى إلى الأطياف اللونية السبعة المعروفة التي يتكون منها الضوء الأبيض)، كما جاء ذكر لفظ (لون) مفردة مرتين في آية واحدة من آيات القرآن الكريم. ولقد وردت تلك الألفاظ في المواضع التالية ,(مرجع(20)):

- **لفظ لون**:"قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ"(البقرة 69)
- **لفظ ألوان**: "وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ"(النحل 13), "ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ "(النحل 69), "وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ " (الروم 22), "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ"(فاطر 27), "وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ "(فاطر 28) , "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لأُوْلِي الأَلْبَابِ " (الزمر 21)

وقد وردت ألفاظ الألوان في القرآن الكريم جاء لتحقق وظائف متعددة من أهمها ,(مرجع(18)):

- **الوظيفة التعبيرية:** وتظهر في اللفظ الصريح، الذي يحمل معاني كثيرة كالبهجة والفرح والمتعةِ والحزن والخوف والرهبة.
- **الوظيفة الرمزية:** وتظهر في اللفظ الموحي، الذي يدعو إلى التأمل والتفكير والتدبر، كما في قوله تعالى: "الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً، فإذا أنتم منه توقدون" فاللون الأخضر الذي يرمز للخصب أولاً وللحياة واستمرارها ثانياً جعل منه وقوداً للاحتراق والموت.
- **الوظيفة الحسية:** وتقوم على تأثّر العينِ- باعتبارها وسيلةُ الاتصال المباشرةُ مع الكون والكائنات- بالأشكال والمرئيات التى تراها في كافة مخلوقات الله. وهي دعوة إلى التبصر والتفكير، لأن عدداً من هذه الألفاظ اللونية قد سُبِق بقوله تعالى: "ألم ترَ أنّ اللهَ.." وفي هذا دعوةٌ صريحةٌ للنظر بالعين، والتفكير بالعقل، والتبصر بالقلب، لدراسة هذه الظواهر المشار إليها في الآيات.
- **الوظيفة الجمالية:** وردَ لفظُ الجمال والجميل في ثماني آياتٍ قرآنية، تتحدث عن الجمال المعنوي والخلقي والحسيٍّ وارتبط بعض تلك الآيات باللون مثل قول الله تعالى: " كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ " (الصافات 49) ليدل به على حسن نساء الجنةاللاتي وصفن بأحسن ألوان النساء. إن وظيفة اللون الجمالية، عملت على توضيح الصورة وإبراز الفكرة، وتعميق المعنى، والتأثير في النفس بالترغيب أو الترهيب، وهي بذلك توقظ القلب، وتؤخذ منها العبر.

وقد حدد العلم الحديث أنّ هناك فرق بين ألوان الضوء وألوان الدهان، فالألوان الرئيسة للضوء هي: الأحمر والأخضر والأزرق. أمّا الألوان الرئيسة للدهان، فهي: الأحمر والأزرق والأصفر. وقد ورد في القرآن الكريم جميع هذه الألوان الأربعة (الأحمر- الأصفر- الأخضر- الأزرق) على إعتبار أنّ الله تبارك وتعالى لم يفرط في الكتاب من شيء ,(مرجع(13)). كما نجد في القرآن الكريم أيضاً اللونين الأبيض والأسود، لأن لهما وضعاً خاصاً بين الألوان مع إنهما ليسا لونين رئيسيين. وعلى هذا يمكن القول إن جميع الألوان موجودة في القرآن، وهي واردة كما يلي:

(1) **الأبيض:** يتميز اللون الأبيض عن سائر الألوان في وظيفته وطبيعته، ورمزه ودلالته، فهناك شبكة من العلاقات التي تربط بين هذا اللون و سلوك الإنسان، وهو في حقيقته اللون الذي يحتوي كل الألوان، وبالتالي نجد انه يعكس كل الألوان وقد جاء لفظ " الأَبْيَضُ " في موضع واحد من القرآن الكريم في سورة البقرة في قوله تعالى: "....وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ....." (البقرة 187). وتفسير الرسول (صلى الله عليه وسلم) هنا عن لفظ الأبيض هو بياض النهار في أوله قبل شروق الشمس ,(مرجع(14)).

وقد التقطت كاميرات وكالة ناسا للفضاء صورة للمنطقة التي يتداخل فيها الليل مع النهار، فوُجد أنها طبقة رقيقة لا يزيد سمكها عن أكثر من 1 على 100 من قطر الأرض وهذه

الطبقة محاطة من جميع جوانبها بظلام بالليل،وقاموا بتركيب عدد من هذه الصور للكرة الأرضية ومعالجتها بالكمبيوتر فظهر فيها الساحل الغربي لكلٍ من قارتي أوربا وأفريقيا وهنالك خط يفصل الليل عن النهار، ونرى في منطقة الليل أن هنالك خط أسود دقيق ، وفي منطقة النهارخط أبيض وبينهما منطقة ضيقة جداً هي منطقة الفجر شكل (5).

شكل (5): منطقة الليل والنهار- تصوير وكالة ناسا

أيضاً جاء لفظ " بَيْضٌ " في سورة الصافات حيث وصف الله تعالى نساء أهل الجنة بأحسن ألوان النساء وذلك في قوله عز وجل:" كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ " (الصافات 49). وجاء في تفسير هذا اللون الأبيض أنه أبيض في صفرة وهو أحسن ألوان النساء,(مرجع(14)). وأتى أيضاً لفظ " بِيضٌ " في سورة فاطر لقوله عز وجل:" أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُود " (فاطر 27).

والجدد هي الطبقات الأفقية المكونة لطائفة كبيرة من الجبال المسماه بالرسوبية. يكون أغلبها أبيض وهو الحجر الجيري(وهو واسع الانتشار ولذا ذكر أولاً) تتداخل معه في كثير من الأحيان طبقات من خام الحديد الأحمر مثال ذلك صخور جبال وادى كلورادو فى الولايات المتحدة وصخور بعض جبال "سنكيانج"فى طريق الحرير بالصين شكل (6).

شكل (6): جبال كلورادو- الولايات المتحدة الأمريكية

أما لفظ " بَيْضَاء"فورد في ستة مواضع، فقال تعالى:"وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ " (الأعراف 108), و " وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ " (الشعراء 33). وورد ذكر اللون الأبيض في سور أخرى مثل:" وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ " (النمل 12)، " وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى " (طه22), " اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ " (القصص 32).

وفي الموضع السادس وصف الله تعالى في سورة الصافات خمر الجنة بأنها خمر جارية بيضاء أي أن لونها مشرق حيث قال عز وجل: " بَيْضَاء لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ " (الصافات 46) , وفسر ذلك بأنها خمر زال عنها مساوئ خمر الدنيا.

وقد ورد لفظ " ابْيَضَّتْ " في موضعين من القرآن الكريم الأول في سورة آل عمران في قوله تعالى: " وأما الذين ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " (آل عمران 107)، والموضع الثاني في سورة يوسف في قوله تعالى:" وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ " (يوسف 84) ليدلل على أن اللون الأبيض هو مضاد اللون الأسود. كما أتى لفظ " تَبْيَضُّ " مرة واحدة في سورة آل عمران بما تعني إشارة إلى النقاء والطهارة والصلاح حيث قال تعالى: " يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ "(آل عمران 106) وهو يوم القيامة حين تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين '(مرجع(17)).

(2) **الأسود:** ذكر لفظ الأسود ومشتقاته سبع مرات في ست آيات قرآنية، منها مرتان جاءت لتعبر عن كنه اللون الأسود وقد وردت كما يلي: ".. وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ....." (البقرة 187) وهذا السواد هو سواد الضوء، وفي سواد الأشياء تقول الآية " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ " (فاطر 27). والغرابيب هي الجبال ذات القمم الواضحة المكونة من صخور نارية, مثل المكونة من صخور "الجابرو", وإما الجبال البركانية المكونة من صخور البازلت المعروف بسواده الشديد، والمقصود من الآية أن هناك من الجبال ما يكون مكوناً من جدد متعددة الألوان (من الأبيض إلى الأحمر), ومنها ما يكون مكوناً من لون واحد بلا جدد (أى بلا طبقات ملونة) وهو الأسود. وقد وجدت هذه الجبال السوداء بالفعل في مناطق كثيرة من العالم مثلما في شمال كندا وجزر هاواي شكل (7).

شكل (7): جبال غرابيب سود- كندا وجزر هاواي

كما جاء ذكر مشتقات لفظ الأسود خمس مرات لتعبر عن وصف المكذبين من الكفار والمنافقين بأن وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ، وهذا تعبير معنوي جاء فيه لفظ الأسود ليعبرعن الحزن الشديد، وعن مدى قتامته, (مرجع(15))، وقد وردت الآيات كما يلي: " يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ "(آل عمران 106)، " وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِّلْمُتَكَبِّرِينَ "(الزمر 60)، " وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ " (النحل 58)، " وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ " (الزخرف 17).

وهكذا تظهر لنا الآيات القرآنية أن البياض هو قمة الصفاء والنقاء والطهر والوضوح والقبول عند الله، وأن السواد هو قمة القتامة والعتمة، وهما يتتابعان في آية واحدة للتعبير عن التباين الشديد بين لونين متناقضين أقصى التناقض لإبراز المعنى.

(3) **الأصفر:** يعتبر اللون الأصفر من أشد الألوان فرحاً لأنه يمثل قمة التوهج والإشراق، ويعد أكثر الألوان إضاءة ونورانية، لأنه لون الشمس التي هي مصدر الضوء والحرارة والحياة والنشاط. وقد جاء ذكر لفظ "صَفْرَاء" مرة واحدة في سورة البقرة، وذلك في وصفه للبقرة بقوله سبحانه وتعالى: " قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ " (البقرة 69) إذ ارتقى مدلول هذا اللون إلى أرقى درجات الجمال اللوني، حيث وصف الله تعالى به البقرة الصفراء الفاقع لونها بأنها تسر الناظرين إليها شكل (8). وقد أجمعت المراجع العربية والعديد من تفاسير القرآن الكريم على أن قول الله تعالى"فَاقِعٌ لَّوْنُهَا" المقصود به صافية اللون من شدتها. وقد ذكر القرطبي عن ابن عباس "فَاقِعٌ لَّوْنُهَا" أي شديدة الصفرة تكاد من صفرتها تبيض لتسر الناظرين دلالة على جمالها وتألقها وحيويتها وذلك في عبارة موجزة بليغة.

شكل (8): اللون الأصفر في شتى مخلوقات الله تعالى

كما جاء ذكر مشتقات اللفظ في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم معبرة جميعها عن اللون الأصفر ودرجاته، وتتضمن أمثلة يضربها الله تعالى للحياة الدنيا حين ينزل الله من السماء ماءً وينبت به ثماراً و زرعاً يانعاً، ثم يجف ويصبح مصفراً، ثم يكون بعد ذلك حطاماً, (مرجع(12)). ففي الموضع الأول في سورة الروم حيث يذكر الله تعالى: " وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ " (الروم 51).

وفي هذه الآية يوضح الله تعالى أن أثر الريح عندما تأتي بدون مطر تخلف اصفراراً في الزرع، واصفرار الزرع بعد اخضراره يدل على أن الريح لا يمطر. ويلاحظ أن اللون الأصفر هنا يرتبط بالجدب وقرب الهلاك فهو يأتي هنا معبراً عن كونه نذيراً لفقدان الحياة والحيوية والعدم والحطام. أما في الموضعين الآخرين يضرب الله مثلاً أن الدنيا تكون خضرة نضرة حسناء، بما تحتويه من مباهج ثم تعود عجوزاً، والشاب يعود شيخاً كبيراً ضعيفاً، كذلك فالزرع بعد خضرته "يهيج" أي يتيبس, فتراه "مصفراً"، "إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب" أي الذين يتذكرون بهذا فيعتبرون. وقد وردت الآيات كما يلي: " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لأُوْلِي الأَلْبَابِ " (الزمر 21)، " اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ " (الحديد 20) ,شكل (9).

شكل (9):تحول النباتات الطبيعية من الأخضر للأصفر

وأتت كلمة "صُفْرٌ" في موضع واحد فقط في القرآن الكريم ولكن لتدلل على اللون الأسود المخلوط باللون الأصفر، حيث وصف الله تعالى بهذا اللون الشرر المتطاير من لهب جهنم كما ورد في الآية: " كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ " (المرسلات 33). وفي تفسير "جِمَالَتٌ صُفْرٌ" تجمع معظم التفاسير على أن جمالة صفر أي في هيئتها وكثرتها وتتابعها وسرعة الحركة واللون كأنها جمال متحركة، والعرب تسمي سود الإبل صفراً لشوب سوادها بصفرة. و يتضح من ذلك أن الدلالات اللونية مثل الدلالات اللغوية لها صلة بالثقافة. ومما سبق يتضح أيضاً أن اللون الأصفر في القرآن الكريم يرتبط بالجدب وقرب الهلاك والمرض عندم يكون ناتج من تحول الأخضر إلى الأصفر، أو يكون مرتبطاً بالأسود. وعلى العكس عندما يكون شديد النصوع مشوب باللون الأبيض "فاقع" فإنه يعطي السرور والراحة للنفس, (مرجع(17)).

وحيث أن اللون الأصفر هو لون أساسي في الدهان وليس في الضوء كما ذكر سابقاً، فإن الآيات التي ورد فيها اللون الأصفر كانت جميعاً في ألوان الأشياء المادية الملموسة، أي في الدهان، وليس في الضوء. وهذه إشارة إلى هذه الحقيقة العلمية, (مرجع(13)).

(4) **الأخضر:** يُعتبر الأخضر في الفكر الإسلامي الديني رمزاً للخير والإيمان، وهو اللون الأكثر شيوعاً في الثقافة

والأدب والفن العربي الإسلامي. وقد حظي اللون الأخضر في القرآن الكريم بالاهتمام أكثر من أي لون آخر، فقد أتت كلمة "الأخضر" مرة واحدة فقط ليدلل بها على الشيء الحي، ففي قوله تعالى: " الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ " (يس 80) فقد دلل الله تعالى على كمال قدرته في إحياء الموتى وقدرته على تبديل الحال مثلما يخرج المحروق اليابس من العود الرطب الحي، ومنه توقدون لتنعموا بالحياة مرة أخرى. كما أتت كلمة "خُضْرٍ" في ثلاث مواضع هي: " وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ " (يوسف 43). " يوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ " (يوسف 46).

وتدل كلمة "خُضْرٍ" هنا على لون السنبلات وفي ذلك دلالة على أن اللون الأخضر يعنى الحياة بما فيها من معاني للاستقرار والراحة، وفي وصف السنبلات بالخضر يعنى أن اللون الأخضر يحمل أيضاً دلالة الخصوبة. (مرجع(18)). أما الموضع الثالث الذي ذكرت فيه كلمة "خُضْرٍ" ففي قول الله تعالى: " مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ " (الرحمن 76)، ويرى المفسرون أن في قول الله تعالى " رَفْرَفٍ " خُضْرٍ " وصف للأرائك باللون الأخضر لما يحمله من معاني للاستقرار، وأن اللافت للنظر أن الله تعالى لم يصف تلك الأرائك بوصف آخر مثل أنها مريحة، أو متسعة، أو غيرها من الأوصاف، ولكن الله عز وجل قد أوجز وضمن كل هذه المعاني وغيرها في لفظ " خُضْرٍ " وفي هذا إعلاء لقيمة اللون الأخضر ودوره في التأثير النفسي الجيد على البشر وشعور الإنسان بالبهجة والسرور والمتعة لرؤيته. وفي سورة الإنسان يقول الله تعالى: " عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا" (الإنسان 21)، وهنا استخدمت لفظ " خُضْرٌ" لوصف ما جاء في الجنة من أبسطة وملابس وزينة. كما أتت كلمة "خُضْرًا" في قوله تعالى: "أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا" (الكهف 31)، وفي ذلك فقد وصف الله زينة ملابس أهل الجنة الحريرية وصفاً لا مثيل له وكذلك أدواتهم، فلو كان في الألوان أفضل من الخضرة لوصفهم الله سبحانه بذلك، لذا يعد اللون الأخضر لوناً مختار من ألوان الجنة، يدل على النعيم و به أحيا الأرض بعد موتها, (مرجع(17)).

وقد أتت كلمة " خَضِرًا " في موضع واحد فقط في القرآن الكريم. قال تعالى: " وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ " (الأنعام 99). وقد ذكرت بعض التفاسير أن لفظ "خَضِرًا" جاءت لتصف رطب البقول مثل القمح والشعير والذرة والأرز وسائر الحبوب. كما أتت كلمة "مُّخضرة" في موضع واحد فقط أيضاً وجاءت في المعنى كدليل على كمال قدرته بإعادة الحياة بعد الموت، يقول تعالى: " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ" (الحج 63). وقد جاء لفظ "مدهامتان" في قوله تعالى: "مدهامتان" (الرحمن 64) وهو مرادف للون الأخضر الغامق ـ فقد قال الطبري عن دلالة هذا اللفظ: أن "مدهامتان" تعني" مسوادتان من شدة خضرتهما " في وصف للون الأخضر الغامق حتى السواد، وهذه الدرجات من اللون الأخضر وجدت على الأرض في بعض الغابات كثيفة الأشجار مثل الغابة السوداء في ألمانيا، شكل (10).

شكل (10): الغابة السوداء في ألمانيا، ويظهر بها درجات الأخضر المائل للسواد من شدة خضرته

(5)**الأحمر:** هو لون رئيسي في الضوء وفي الدهان، وهو يشترك في هذه الخاصية مع اللون الأزرق، وهذا مظهر من مظاهر الثبات في اللون الأحمر, (مرجع(13)). واللون الأحمر له بعض الدلالات مثل درجات الأحمر الموجودة في ألوان الجبال، والأحمر الموجود في ألوان الثمار والنباتات. وقد أتت كلمة "حُمر" في موضع واحد فقط من القرآن الكريم لتدلل على كنه اللون وصفته، وأن اختلاف الألوان يأتي مصدره من اللون الأحمر والأبيض . فقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم: " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ " (فاطر 27). ويتضح من هذه الآية أحد مشاهد الجمال التي يوقفنا عندها القرآن، وهي جمال الألوان الماثلة في الجبال، فقد وصف الله في هذه الآية الجبال بأنها ذات طرائق وخطوط بيضاء وحمر مختلف ألوانها،(مرجع(18)) ,ولم يذكر الله تعالى أي لون آخر غير" الأحمر" والقرآن الكريم يذكر عبارة " مختلف ألوانها" بعد قوله تعالي "حُمر" وكأن في هذا إشارة إلى أن

اللون الأحمر هو أصل الألوان، والذي أتى ذكره بعد "بيض" وهو مصدر الألوان شكل (11).

شكل (11):العناصر والمخلوقات الكونية المختلفة بألوانها المذكورة في القرآن

وقد بينت هذه الآية الكريمة ملمحاً موجزاً وافياً بدقة لأصل تغير الألوان في الطبيعة، فقد أظهرت أن أصل الألوان الطبيعية في منشأها تكون بيضاء ومن ثم تتدرج إلى ضروب من الحمرة إلى السواد , (مرجع(17)).

وكما ثبت من المشاهدات الحقلية والدراسات المعملية للألوان الطبيعية وكيفية تكوينها الناشئ عن امتزاجها وتداخلها مع الصبغات الحمراء الأولية، بمعنى آخر أن الصبغات اللونية جميعها يدخل في تركيبها الأساسي الصبغات الحمراء الراجع إلى تحلل عنصر الحديد في الطبيعة.

هذا ويذكرنا القول الكريم: " وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ " بأن الله لم يخص لوناً آخر دون الأحمر باختلاف الألوان لعلمه سبحانه بمسببات أصل الألوان سواء طبيعية أو ضوئية في كونه الواسع.

وكما جاء ذكر كلمة " لون " في القرآن الكريم مرتين جاء ذكر ما يدل على اللون الأحمر في آيات القرآن الكريم مرتين أيضاً مرة في هذه الآية التي ذكر فيها لفظ "حُمر" صراحة وذكرت في حالة الجمع لما تجمعه من دلالات أهمها هو تداخل الموجات التحت حمراء وموجات اللون الأحمر فكلها جمع للأحمر أي "حُمر" وبتداخلاتها بين بعضها فقط تنتج باقي الألوان، والمرة الأخرى ليعبر عن درجة من درجات اللون الأحمر أيضاً وهو لفظ وَرْدَةً وذلك في قول الله تعالى: " فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاء فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ " (الرحمن 37)، والمعنى هنا أن السماء تصير في حمرة الورد وجريان الدهن، أي تذوب مع الانشقاق حتى تصير حمراء من حرارة نار جهنم، وفي ذلك دلالة على أن اللون الأحمر هو لون النار بما تحتويه من قوة وإثارة وسخونة شديدة, (مرجع(15)) شكل (12).

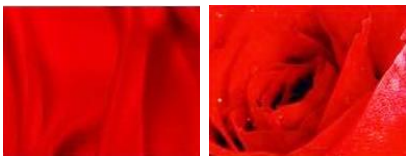

شكل (12): الورد الأحمر ودرجة اللون المستنتجة منه

(6)**الأزرق:** اللون الأزرق هو أحد الألوان الرئيسة في الضوء والدهان، وهو يشترك في هذه الخاصية مع اللون الأحمر. وقد أتت كلمة "زُرقاً" في موضع واحد فقط من القرآن الكريم وأتت بمعنى الحزن والهم، في قوله تعالى: " يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا " (طه 102) فالمعروف أن لون الدم هو الأحمر وعندما يتحول إلى الأزرق فهي تعني احتباس الأكسجين الشديد وفساده، وهي أصدق تعبير عن الحشر. وكلمة "زُرقاً" تدل على شدة الإزرقاق، مع ما يكتنفه من كآبة شديدة وحزن عميق وشعور بالإشراف على الموت , (مرجع(18)).

وهو على العكس تماماً من اللون الأزرق الفاتح والذي يعرف في ألوان الطيف باللون الأزرق النيلي، وهو اللون الوحيد الذي يغمر سطح الأرض في البحار والأنهار والمحيطات، ويغلفها وينعكس من الغلاف الجوي على شكل مسطح أزرق عريض لا نهائي يسمى السماء، وهو لون يمتاز بتخفيف التوتر والعصبية عند الإنسان, وتختلف الشعوب في تفسيراتها وتصوراتها عن اللون الأزرق، فهو عند اليهود مثلاً يمثل القدسية، بينما معظم العرب المسلمين وخاصة في منطقة الشرق الأوسط يعتبرون اللون الأزرق غير محبوب ويبغضون الزرقة ويتخذون اللون الأزرق لون منع الضرر والحسد.

3. ممارسات تطبيقية لاستخدام الألوان في المدن والعواصم الإسلامية

إنّ العمارة والعمران لوحة لا تكتمل عناصرها الجمالية إلا باستخدام اللون، وكم من عمارة جميلة في طرازها المعماري وفي تصميمها فقدت جمالها لمجرد خطأ في استخدام اللون المناسب، فاللون هو العنصر الجاذب للجميع، إذ أن الناس على اختلاف ثقافاتهم يلتقون في الاحساس بجمال الألوان، وفي تمييز الجميل من القبيح في الألوان. ولقد أبدع المسلمون نموذجًا معماريًّا خاصًّا بهم تميزت ألوانه بالتركيز على ألوان القرآن الكريم حيث ظهرت ألوان القرآن الكريم في تطبيقات مباشرة ومستمرة على العمارة والعمران الإسلامي.

وقدُلوحظ أن استخدام الألوان في عمران المدن والعواصم العربية والإسلامية أخذ عدة أنماطاً مختلفة ، حيث ظهر في عمارة بعض المدن الإسلامية ما يعرف بمدن اللون الواحد (كسيدي بوسعيد/ تونس, دارا/ المغرب, القدس/ فلسطين, عمّان/ الأردن ,مسقط/ عُمان ...الخ). ولعل هذا التوحد في اللون يكسب المدينة طابعا جماليا لاسيما مع وجود المناطق

الخضراء والاشجار لتبدو لوحة فنية جميلة, وقد أُستخدمت الألوان على عدة مستويات (المدن , الميادين والشوارع , المباني العامة والرموز, التفاصيل والمنمنمات الخاصة بمباني العمران الإسلامي) ,من هذه النماذج ما يلي أشكال (13),(14), (15),(16):

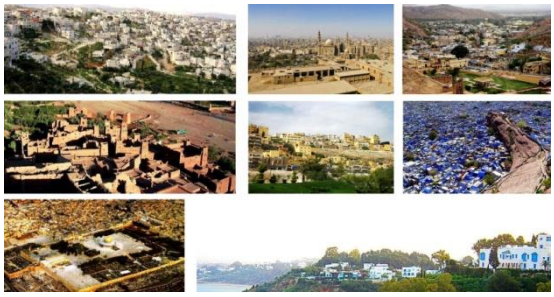

شكل (13): مستوى المدن الإسلامية Towns (تونس/المغرب/القدس/عمان/القاهرة/الهند/...الخ)

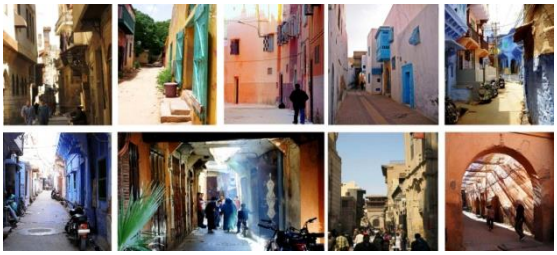

شكل (14): مستوى الميادين والشوارع العامة Streets في بعض البقاع الإسلامية

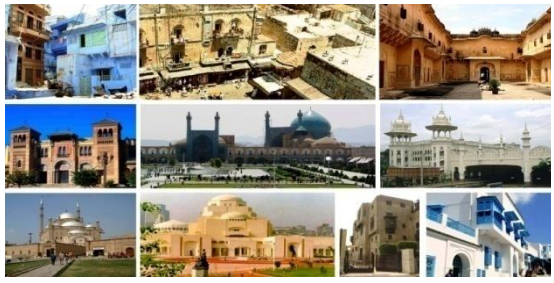

شكل (15): مستوى المباني Buildings (العامة / الخاصة) , والرموز والمقدسات في المدن العربية

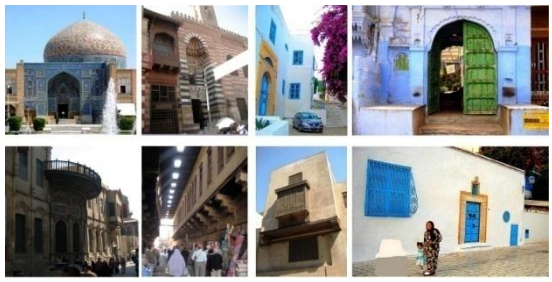

شكل (16): مستوى تفاصيل وزخارف المبنى Details

ولم يتوقف استخدام الألوان عند حد العمارة والعمران فقط بل تعداه إلى مجالات أخرى مثل الجرافيك وتصميم الشعارات وغيرها، والتي ركز الكثير منها على استعمال اللون الأخضر تحديداً لما له من أهمية ودلالة في الثقافة الإسلامية. فنرى ذلك مثلاً في لون علم المملكة العربية السعودية، وشعار جامعة الدول العربية، والموقع الرسمي للنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي أُستحدث قريباً على الشبكة العنكبوتية العالمية، وكذلك في التصميم المقترح لشعار المدينة المنورة شكل(17).

شكل(١٧):استخدام اللون الأخضر بصورة أساسية في شعارات المدن , وأعلام الدول , ورموز المؤسسات الهامة , والمواقع الإلكترونية الإسلامية الحيوية

ويُلاحظ من تلك الممارسات أن الألوان الأربعة المذكورة في القرآن الكريم بخلاف الأبيض والأسود، وهي: الأحمر والأزرق والأصفر والأخضر هي الغالبة على الاستعمالات اللونية في معظم المدن الإسلامية، فنرى استخدام الألوان (الأصفر, والأبيض, والأحمر, والأخضر) في المباني الرمزية الضخمة ذات القيمة. إلا أنها مستعملة بدرجات مختلفة من مدينة لأخرى وذلك باختلاف التأثيرات الثقافية والمجتمعية وألوان البيئة المحيطة.

وبصفة عامة فقد هذّب الإسلام الذوق البدوي العاشق للطبيعة وألوانها وانعكس ذلك في الصعيد العمراني الإسلامي بوفرة الألوان الفاتحة. فاللون الأزرق على سبيل المثال رغم أنه ورد في القرآن الكريم بمعنى زرقة الموت، إلا أن المعماري المسلم عندما استخدمه استخدم درجات النيلي والفيروزى لارتباطه بألوان السماء ولون الماء الذي هو جوهر الحياة "وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ"، وبذلك جاء اهتمام المعماري المسلم به لأنه متداخل مع روح الإسلام القادم من الصحراء ومتماشياً مع ما يضفيه من الحس البارد المنعكس من طبيعة اللون الأزرق المحبب لأهل هذه البيئة الحارة.

4. استنباط خريطة لونية لعمران المدن الإسلامية

هناك عدد كبير من أنظمة الألوان من أشهرها النموذج الذي وضعه الفنان الأمريكي Albert Munsell كطريقة عقلانية لوصف لون تقوم على استخدام التدوين العشري للألوان بدلاً من استخدام الكثير من الأسماء لدرجات اللون الواحد, (مرجع(2)) ,شكل (18). ولازال هذا النموذج الذي وضعه Munsell معياراً لقياس الألوان ووصفها والتعبير عنها هو الأكثر شيوعاً وتطبيقاً لكونه مرتبطاً بالطريقة التي تدرك بها

العين ألوان الضوء الأساسية الأحمر والأخضر والأزرق (RGB), ويتم من هذه الألوان اشتقاق جميع الألوان في الطبيعة،(مرجع(9)). بل أنه يُعتبر الآن أساساً لنظم الألوان في أجهزة التليفزيون، وفي العديد من برامج الحاسب مثل Photoshop وغيرها. ويقوم هذا النظام على وصف اللون بمعرفة ثلاث خصائص أساسية فيه، وهي: الكنه، والقيمة، والشدة, (مرجع(4)). شكل (19)، شكل (20)

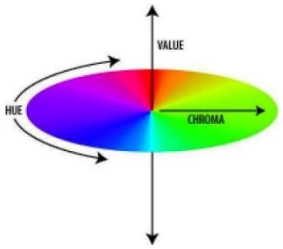

شكل (18): الفكرة المبدئية لنظام Munsell

- **كنة اللون (Hue):** المقصود بذلك أصل اللون (نوعية اللون) وهي تلك الصفة التي نميز بها ونفرق بها بين لون وآخر.
- **قيمة اللون (Value):** وهي المحور المحايد الذي يشير إلى مستوى من مستويات اللون الرمادي.
- **شدة/ نقاء اللون (Chroma):** وهي الخاصية أو الصفة التي تدل على مدى نقاء اللون أي درجة تشبعه، ويرتبط نقاء اللون بمدى اختلاطه بالألوان المحايدة.

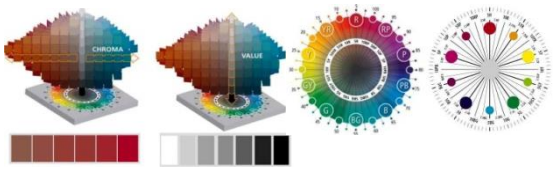

شكل (19): خصائص اللون (الكنة والقيمة والشدة)

شكل (20): التصور ثلاثي الأبعاد لنظام Munsell

وقد اهتمت العديد من الدراسات بالبناء على نظام Munsell والاستفادة منه في التعرف على العلاقات بين الألوان وتصنيفاتها المختلفة، والوصول إلى تكوينات لونية تمزج بين تلك الألوان الأساسية لخلق انطباعات وتأثيرات نفسية مختلفة, (مرجع(6)). ويقوم المنهج المقترح على مجموعة من الخطوات المتسلسلة التي يمكن أن تساعد على استنباط الأنساق اللونية التي وردت في آيات القرآن الكريم وتوضيح هذه الألوان بالمخلوقات والعناصر الطبيعية التي أبدعها الله، وذلك من أجل الوصول إلى تكوين خريطة لونية يمكن أن تمثل أداة جيدة في دعم الهوية وإعادة إحياء وتمييز العمران في المدن والعواصم الإسلامية.

وتتمثل **مراحل المنهج المقترح** في:

- **الأولى: اختيار** العناصر والمخلوقات التي يتجلى بها اللون كما ورد وصفه في القرآن الكريم.
- **الثانية: تحليل** صور هذه العناصر والمخلوقات من خلال عدة برامج حاسوبية (Color Analysis Software) بهدف الحصول على التكوين اللوني (RGB) لهذه العناصر والمخلوقات وقد استخدم البحث البرامج التالية: Color Palette Generator, Color Explorer, Color Calculator, Color Munki .
- **الثالثة: مناظرة** الألوان التي تم الحصول عليها بالخرائط اللونية التي وضعها Munsell شكل (21), والموجودة فيما يعرف بـ Munsell Atlas Software للوصول إلى درجات لونية محددة بطريقة علمية دقيقة.
- **الرابعة: تحديد** الخريطة اللونية للألوان المُستنبطة من

شكل (21): مطابقة اللون على نظام Munsell القرآن الكريم.

وفيما يلي سرد لهذا المنهج وما توصل إليه البحث على النحو التالي :

المراحل (الأولى, الثانية, الثالثة): وقد تم في هذه المراحل **اختيار** بعض العناصر والظواهر الطبيعية الموضحة لإحدى الدرجات اللونية المُستنبطة في آيات القرآن الكريم, و**تحليلها** وعرضها على البرامج السالف, وذلك بعد حذف المتشابهات من الدرجات اللونية أو المتقاربة إلى حد بعيد منها , ثم **مناظرة** تلك التحليلات على نظام Munsell , وذلك لمحاولة الحصول على الكود اللوني لها (RGB), جدول رقم (1).

جدول رقم (1): تحليل بعض العناصر الطبيعية لألوان القرآن الكريم على البرامج المتخصصة, ومناظرتها على نظام Munsell

- **اللون الأبيض**

عناصره الدالة عليه - وتحليل ألوانها	تحديد الألوان على نظام Munsell
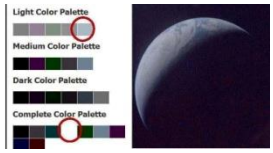	
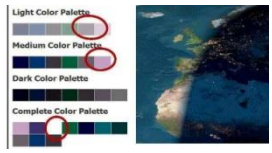	
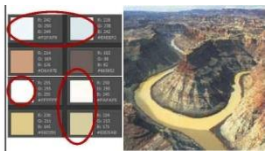	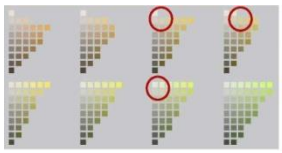

- **اللون الأسود**

عناصره الدالة عليه - وتحليل ألوانها	تحديد الألوان على نظام Munsell
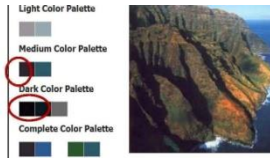	
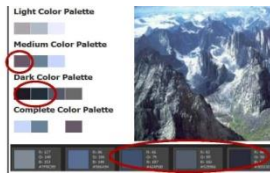	

- **اللون الأصفر**

عناصره الدالة عليه - وتحليل ألوانها	تحديد الألوان على نظام Munsell
	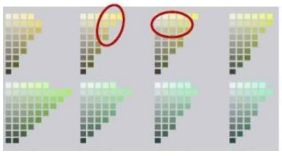
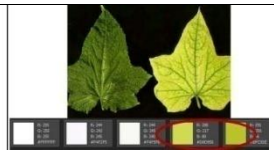	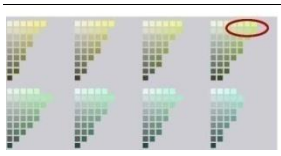

- **اللون الأخضر**

عناصره الدالة عليه - وتحليل ألوانها	تحديد الألوان على نظام Munsell
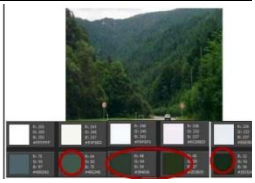	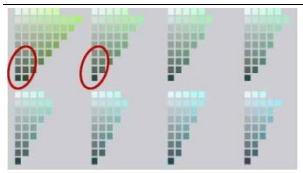
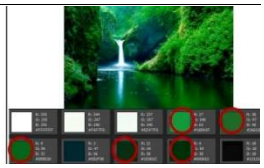	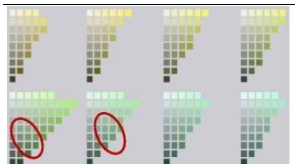
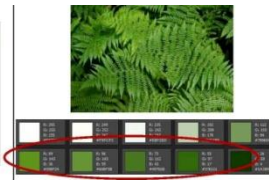	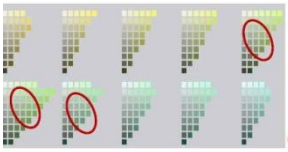

- **اللون الأحمر**

عناصره الدالة عليه - وتحليل ألوانها	تحديد الألوان على نظام Munsell

- **اللون الأزرق**

عناصره الدالة عليه - وتحليل ألوانها	تحديد الألوان على نظام Munsell
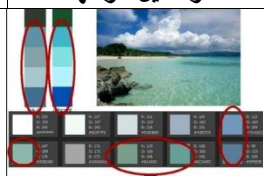	
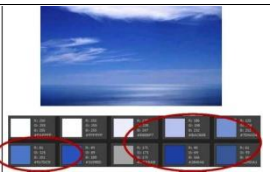	

المرحلة (الرابعة) تحديد الخريطة اللونية: ومن الجدول السابق تم تحديد تلك الأنساق اللونية Pallets المُستنبطة من آيات القرآن الكريم, وكل لون من ألوان تلك الأنساق مُعرف بالكود اللوني له (RGB) , وذلك لسهولة الحصول على تلك الألوان بطريقة عملية مُبسطة, وأيضاً لإعطاء الحرية والمرونة في جعل تلك الألوان فاتحة أو قاتمة بما يتناسب مع معطيات ومناخ وبيئة المكان , فكما سنرى في الجدول رقم (2) كلما كانت الأرقام الخاصة بالكود اللوني (RGB) لكل لون منخفضة كان اللون قاتما, والعكس كلما ارتفعت كان الون فاتحاً.

جدول رقم (2): الخريطة اللونية المُستنتجة بعد مراجعتها ومطابقتها على نظام Munsell

اللون	الدرجات اللونية مّوضحة بالـ RGB
الأبيض	R:229 G:229 B:229 · R:228 G:238 B:242 · R:242 G:250 B:249 · R:250 G:250 B:245 · R:255 G:255 B:255 · R:224 G:213 B:171 · R:179 G:191 B:203 · R:180 G:170 B:179 · R:230 G:213 B:231
الأسود	R:102 G:85 B:103 · R:66 G:79 B:107 · R:82 G:89 B:102 · R:48 G:50 B:61 · R:41 G:51 B:61 · R:50 G:43 B:51 · R:40 G:33 B:40 · R:20 G:33 B:39 · R:19 G:17 B:20
الأصفر	R:217 G:204 B:87 · R:251 G:232 B:164 · R:245 G:238 B:131 · R:251 G:235 B:100 · R:225 G:247 B:175 · R:208 G:217 B:80 · R:191 G:201 B:46 · R:196 G:170 B:37 · R:221 G:254 B:115 · R:218 G:251 B:138 · R:219 G:246 B:167
الأخضر	R:26 G:59 B:4 · R:27 G:148 B:63 · R:38 G:97 B:48 · R:21 G:54 B:28 · R:4 G:54 B:18 · R:32 G:51 B:36 · R:9 G:94 B:32 · R:48 G:64 B:54 · R:45 G:59 B:37 · R:64 G:82 B:75 · R:89 G:143 B:36 · R:73 G:112 B:43 · R:55 G:97 B:17
الأحمر	R:107 G:66 B:48 · R:107 G:79 B:64 · R:153 G:84 B:51 · R:179 G:148 B:153 · R:203 G:170 B:153 · R:105 G:10 B:3 · R:54 G:5 B:2 · R:150 G:128 B:117 · R:143 G:109 B:91 · R:115 G:96 B:86 · R:150 G:5 B:9 · R:145 G:16 B:7 · R:107 G:4 B:8
الأزرق	R:81 G:125 B:201 · R:49 G:89 B:189 · R:108 G:166 B:156 · R:95 G:133 B:158 · R:125 G:154 B:212 · R:69 G:119 B:154 · R:67 G:187 B:204 · R:136 G:222 B:221 · R:187 G:238 B:255 · R:0 G:85 B:186 · R:102 G:153 B:170 · R:136 G:170 B:171 · R:170 G:204 B:205

أيضاً وبطريقة أدق يمكن التحكم في درجة اللون بنفس الطريقة السابقة , ولكن على مستوي كل لون من الكود اللوني على حدى (الأحمر R, والأخضر G, والأزرق B) , وذلك من الرقم صفر إلى 255, كي تصبح متطابقة إلى حد بعيد مع معطيات المكان الطبيعية من صنع الخالق والمُتوافرة في البيئة العمرانية المحيطة.

وبعد الحصول على تلك الأنساق اللونية Pallets والمُستنبطة من آيات القرآن الكريم , يمكن استخدامها كآلية تصلح للتطبيق في عمارة/ عمران المدن والعواصم الإسلامية سواء في المناطق السكنية أو غيرها من المناطق ,فبتتبع التاريخ نجد اللون قد أُستعمل لتغيير شكل وهيئة المبنى بالإضافة إلى التحكم في حجمه أيضاً.

وبالتالي يُقترح تقسيم وتصنيف هذه الأنساق اللونية إلى ثلاثة مستويات متدرجة , فمثلاً : خريطة لونية على مستوى المدن والمستقرات البشرية والقرى والنجوع...الخ , وأخرى على مستوي الشوارع والمباني ' ثم مستوي التفاصيل والمنمنمات الخاصة بتلك المباني, تلك التصنيفات المختلفة تسهل على المصمم اختيار التكوين اللوني المناسب للتصميم في أي مستوى من المستويات الثلاث.

5. الخلاصة

✓ يتضح من خلال هذه الورقة البحثية نظرة القرآن الكريم للألوان من حيث تنوعها، وأصلها، ومصدرها، ومالها من قدرة على التأثير في النفوس. كما يظهر أيضا مدى أهمية اللون ـ وهو أحد أهم عناصر التشكيل ـ في حياة البشر، وكيف أن القرآن وضح تلك الأهمية، وأتت بعض آياته لإعلاء قيمة اللون والزخرفة، قال تعالى:"وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ " (النحل- 13)

✓ لابد من دراسة هذا الموروث الحضاري المتمايز، وذلك من قبل الباحثين والمتخصصين لاستنباط الحقائق والإسهامات الحضارية والتاريخية, فتُبتكر من خلالها نماذج معاصرة يتبعها المسلمون في عمرانهم/عمارتهم على ضوء القرآن والسنة النبوية.

المراجع

1. Alain Briot, 2009, Mastering Photographic Composition, Creativity, and Personal Style, Rocky Nook, Inc., CA
2. Cleland, Thomas M. (1937). *A practical description of the Munsell color system, with suggestions for its use*. Baltimore: Munsell Color Company. An edited version can be found at http://www.applepainter.com/.
3. Kasprisin R., Pettinari J. "Visual thinking for architects & designers", Van Nostrand Reinhold, New York, (1997).
4. Kuehni, Rolf G. (February 2002). "The early development of the Munsell system". *Color Research and Application*.
5. Landa, Edward R.; Mark D. Fairchild, 2005, "Charting Color from the Eye of the Beholder". *American Scientist* Vol. 93 http://www.americanscientist.org/template/AssetDetail/assetid/45931/page/1;jsessionid=aaa5LVF0
6. MacEvoy, Bruce, 2005, "Modern Color Models – Munsell Color System". *Color Vision*. http://www.handprint.com/HP/WCL/color7.html#MUNSELL. Retrieved 2007.
7. Munsell and Royal B. Farnum, 1941, A Color Notation: An Illustrated system Defining All Colors and their relations, Baltimore: Munsell Color Company.
8. Munsell, Albert H., 1912, "A Pigment Color System and Notation". *The American Journal of Psychology*, University of Illinois Press, Vol. **23** http://books.google.com/?id=FdQLAAAAIAAJ&pg=PA236.
9. Nickerson, Dorothy (1976). "History of the Munsell color system, company, and foundation". *Color Research and Application* **Vol. 1** http://www3.interscience.wiley.com/cgi-bin/jissue/114188682.
10. Pauline Wills " Colour Healing Manual" ,the Complete Colour Therapy Teaching Programme, Judy Piatkus (Publishers) Ltd, London, 2000.
11. "القاموس المحيط",مكتبة المعارف ,الرياض, ص 20: 22 ’ص 270.
12. "المصباح المنير" , ص214.
13. "الموسوعة العربية العالمية ", ص 210: 213.
14. "تفسير الجلالين" ,دار المعرفة ,بيروت, لبنان ,ص 28.
15. "مختار الصحاح", ص 609.
16. "من فتح الباري" , بتصرف، "وأخبار مكة" , الأزرقي , بتصرف, أ.هـ.
17. إبن المرّة ,"مفرح النفس".
18. إبن حزم الظاهري, "رسالة الألوان" , ص 24.
19. د/عبد الحميد دياب, د/أحمد قرقوز, "مع الطب في القرآن الكريم" ,مؤسسة علوم القرآن ,دمشق.
20. د/ محمد السقا عيد ,"الألوان في القرآن".
21. محمود القاسم ,"الإسلام والحقائق العلمية" , دار الهجرة, بيروت.